مقدمة المترجم

بدأ إهتمامى بالدراسات العربية فى الاتحاد السوفيتى منذ حوالى ثمانى سنوات، عندما كنت أقوم هناك بتدريس اللغة العربية وآدابها بإحدى جامعاته ولعل مصدر هذا الاهتمام جاء نتيجة إتصالى بالأعمال القيمة التى قام بها شيخ المستعربين السوفيت ا . كراتشكوفسكى فى ميدان الدراسات العربية . وقد سبق أن أشرت إلى ذلك تفصيلا فى مقال لى بمجلة « المجلة » . (عدد سبتمبر ١٩٦٣) عندما كنت أعرض لترجمتى العربية لأحب كتبه إلى نفسى وأعنى به « مع المخطوطات العربية صفحات من الذكريات مع الكتب والبشر » وهو يعطى صورة لكثير من الأعمال العلمية الهامة فى حياة المؤلف لاسيما الفريدة منها . وليس هذا بالطبع مجال ذكرها إنما مايعنينا هنا هو أن كراتشكوفسكى قد خصص فى هذا الكتاب فصلا عن أحمد ابن ماجد ملاح فاسكودى جاما وقصة إكتشاف مخطوط أراجيزه الثلاثة الفريدة التى تتعلق بوصف الطرق البحرية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى فى القرن/١٥ . (أنظر الترجمة العربية ص ص١٧٣ — ١٨٤) . وحقيقة أن الفضل فى إكتشاف هذه الأراجيز يرجع إلى كراتشكوفسكى نفسه عندما عثر عليها بعد الحرب العالمية الأولى ، فى مجموعة مخطوطات معهد الدراسات الشرقية التابع للمجمع العلمى السوفيتى . وعندما وقعت الأراجيز فى يده لأول مرة لم تكن لديه فكرة واضحة عن مؤلفها رغم محاولاته لاستجلاء شخصيته . وظل الأمر غامضا عليه حتى منتصف العقد الثانى من هذا القرن عندما أتيحت له فرصة التعرف بجهود المستشرق الفرنسى ج . فيران G. Ferrand عن الجغرافية البحرية القرن/١٥ . وكان هذا قد كتشف فى المكتبة القومية بباريس سنة ١٩١٢ مخطوطين عربيين يتضمن الأول ١٩ أرجوزة لابن ماجد تتعلق بوصف الطرق البحرية المختلفة فى البحر الأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى . واعتبر فيران المخطوط نسخة فريدة نقلت عن أصل غير معروف . لكن تبين له بعد عشرة أعوام وجود نسخة مماثلة فى دمشق . أما المخطوط الثانى فيتضمن مقالات أخرى لابن ماجد منها إثنتان مكررتان فى المخطوط الأول . وقد قام فيران بدراسة المخطوطين .

وكان من المعروف أن ملاحا عربيا صاحب الرحالة البرتغالى فاسكودى جاما فى رحلته الأولى سنة ١٤٩٨ من مالندى بشرق أفريقيا إلى كلكتا بالهند . وماورد فى المصادر البرتغالية عن هذا الملاح كان مضطربا متضاربا . إلا أن فيران كان على معرفة بلغات الشرق الأدنى والأقصى ومن بينها لغات الملايو والهند ومن ثم إستطاع أن يصل إلى نتائج ثابتة . وعندما ربط بين المعلومات البرتغالية وبين المعلومات العربية والتركية إستطاع أن يحدد الأسم العربى الحقيقى لهذا الملاح وأن يحدد مسقط رأسه، وكان مخطوط الأراجيز الثلاثة الذى إكتشفه كراتشكوفسكى يتشابه فى الشكل والمحتوى مع المخطوط الذى إكتشف فى باريس . فكتب إلى «فيران» يسأله عما إذا كانت لديه معلومات عن وجود هذه الأراجيز فى مصادر أخرى فرد فيران بالنفى وعبر عن إعتقاده بأنها تعتبر فريدة وحيدة ، ثم أن كراتشكوفسكى أشار عليه بأن يتولى مهمة تحقيق الأراجيز إلا أن موت فيران سنة ١٩٢٥ حال دون تنفيذ هذا العمل . وبقى مخطوط الأراجيز فى إنتظار من يدرسه حتى جاء شوموفسكى — تلميذ كراتشكوفسكى — وأخذ على عاتقه مهمة تحقيق هذه الأراجيز فى دراسة علمية حصل بها على درجة الكانديدات من كلية الدراسات الشرقية بلينجراد سنة ١٩٤٨ وقام المجمع العلمى السوفيتى بطبعها سنة ١٩٥٧ وهذه هى الترجمة العربية لهذه الدراسة تقدمها لأول مرة فى صورتها العربية الكاملة تحت عنوان : ثلاث (فى الأصل ثلاثة) أزهار فى معرفة البحار لأحمد بن ماجد . وهناك عنوان داخلى آخر فى الطبعة الروسية هو : ثلاث راهمانجات المجهولة والراهمانج هى كلمة مأخوذة من الكلمة الفارسية راه نامه أو نامك ومعناها دليل أو مرشد الطريق البحرى .

وقد أعددت هذه الترجمة منذ عام ١٩٦٣ ونشرت آنذاك مقتطفات ماجد عده مقالات بمجلة الرسالة (الأعداد ١٠٧٦ / أغسطس ١٩٦٤ ، ١٠٨٢ فى ٨ أكتوبر ١٩٦٤ ، ١٠٨٦ / ٥ نوفمبر ١٩٦٤) . وكنت قد نشرت قبل ذلك مقالة لكراتشوفسكى عن أحمد بن ماجد بمجلة المجلة (العدد ٨٨ أبريل ١٩٦٤) ، وكانت ظروف سفرى إلى الخارج السبب الرئيسى فى عدم ظهور الترجمة كاملة طيلة هذه الفترة

ولعل أهم الصعوبات التى واجهت إخراج هذا الكتاب فى طبعته العربية تتمثل فى شيئين أساسيين .

أولها : إن الأراجيز منشوره فى الطبعة الروسية مصوره تصويرا شمسيا من أصل المخطوط مما جعل مسألة القراءة الصحيحة للنص صعبة بل وعسيرة لاسيما أن لغة الأراجيز نفسها تشوبها الأخطاء الاملائية والعناصر العامية وبها كثير من المفردات والتعبيرات الفلكية والبحرية والأجنبية وغيرها . وقد إعتمدنا على الصوره الشمسية والترجمة الروسية فى محاولة القراءه الصحيحة للنص العربى . وكانت هناك بعض الاختلافات مع الترجمة الروسية فى عده مواضع أشرنا إليها فى مكانها .

ثانيهما : أن فى الأصل الروسى وردت كثير من الإقتباسات المترجمة عن المصادر العربية . وبعضها مخطوط لم ينشر بعد . وقد حاولنا قدر الإمكان أن نرد هذه الإقتباسات إلى مصادرها وأصولها العربية . وبهذه المناسبة أحب أن أشير إلى مخطوط سيرد ذكره فى هذا الكتاب بعنوان البرق اليمانى فى الفتح العثمانى لقطب الدين النهر والى (١٥١١ — ١٥٨٢) وهو مخطوط جميل بدار الكتب المصرية فلعله يثير اهتمام من يقوم بتحقيقه ونشره .

وقد اقتضت الترجمة العربية إدخال بعض التعديلات على نظام الأصل المترجم عنه من أهمها :

١ — الإستغناء عن الترجمة الحرفية الروسية للنص بعد أن استفدنا منها فى محاولة قراءته القراءة الصحيحة وتفسير بعض ماألغز فيه . وبالطبع فإن هذا العمل لايدعى لنفسه كمالا .

٢ — الإستغناء عن تقطيعات الأوزان الشعرية لعدم أهميتها المباشرة وكذلك الملاحظات التى لاتهم القارىء العربى أو التى يسهل عليه معرفتها .

٣ — تعديل ترتيب الملحقات بما يتناسب مع الترجمة العربية وبما يسهل على القارىء الإستفادة منها .

وقد حافظنا على ترتيب صفحات المخطوط كما وردت فى الأصل حتى يسهل على القارىء الرجوع إلى النص وكذلك ملاحق الكتاب .

وربما يثقل على القارىء المفردات والمصطلحات البحرية والفلكية والجغرافية التى تنتشر فى نص الأراجيز وربما وجد أنها مملة فى بعض الأحيان . وهنا ينبغى أن نشير إلى أن هذه الأراجيز كما يبدو ألفت أساسا لغرض تعليمى ولعلها تكون مهمة للمتخصصين أو المهتمين بعلم الفلك أو الملاحة البحرية وغيرهم . ومما يعين على فهم هذه المفردات والتعبيرات أن لكل منها على اختلاف أنواعها جداول خاصة فى ملاحق الكتاب تشرحها وتفسرها . ولذا يجب الرجوع إليها . ولعل الإستعانة بالخريطة الجغرافية (الملحق ١٠) مهمة أيضاً لفهم ومعرفة أسماء الأماكن والبلاد والبحار والموانىء والجزر التى ورد ذكرها فى الأشعار . أما الجزء الخاص بالبحث من دراسة تاريخية وغيرها وكذلك الملاحظات على الدراسة التاريخية فأعتقد أنه ممتع ومفيد ويهم قطاعا كبيرا من القراء لإتصاله بصورة مباشرة بمجال الثقافة العامة . وعلى هذا الجزء ملاحظات وتعليقات مسلسلة تعقب هذا الجزء مباشرة . وربما وجد فيها القارىء أشياء مفيدة متنوعة .

ولعل لهذا الكتاب أهمية أيضاً بالنسبة للمهتمين بتحقيق التراث أو دراسة المخطوطات لاسيما فيما يتصل بالناحية المنهجية لدراسة مخطوط الأراجيز وتحقيقه .

وأحب أن ألفت نظر القارىء سلفاً إلى بعض الأشياء المفيدة فى قراءة النص . أولها أنه يتردد فى لغة النص كقاعدة عامة إستخدام الهمزة المخففة مثل الما أى الماء ، بأس أى بأس ، وسوا أى سواء ، وياوى أى يأوى ، وجا أى جاء ومنها يجى أى يجىء ، ويجى أى يجىء . أو قلب الهمزة ياء مثل دايما أى دائماً ، وشدايد أى شدائد ، ومايه أى مائه ومنها تسعايه أى تسعمائة ، وباريسا أى بارئيسا وياسايلى أى ياسائلى ومنها يامسايلى أى يامسائلى ، ودلايلى أى دلائل ، وسحايب أى سحائب وهكذا . وهناك أيضاً بعض المصطلحات التى يكثر ترددها فى النص وقد يكون من المفيد التعرض هنا لشرح أكثرها إستخداماً مع أن هذه المصطلحات وغيرها مشروحة فى القوائم الخاصة بها فى الملاحق . منها كلمة « الديرة » ولها معان متعددة فهى تعنى الحقة أو البوصلة وتعنى الجهاز الخاص بقياس سير السفينة وأخيراً تعنى الطريق البحرى . وهى بهذا المعنى الأخير تنقسم إلى نوعين :

ديرة مطلق ومنها أطلق وتطلق وطالق أى إبحار فى عرض البحر المفتوح وديرة مد أى إبحار بحذاء الشاطىء ومنها أيضاً الديرة الجاهية أى الإبحار فى المياه

الشمالية للمحيط الهندى أما الإبحار فى مياهه الجنوبيه فيسمى دورة فرقدية . ويرتبط بها كلمة مجرى وهو الطريق البحرى ومنها فعل الأمر أجر . وننتخ فصيحها ندخ ومنها انتخ وتنتخ ومنتخ بمعنى قطع الطريق البحرى أو السفر فيه أو الوصول بالسفينة إلى المكان المقصود . واستقل ومنها مستقل أى الوصول إلى أعلى نقطة إرتفاع فوق الأفق . وولج ومنها يلج بمعنى الدخول إلى المكان : وموسم تعنى موسم السفر بالنسبة للرياح الموسمية والجَوْش هو معظم الليل أو توقف السفينة ليلا أما الجوش وجمعها جواش فمعناها الإسفار والرحلات . ومغزر من غزر الماء وأغزر أى كثر وعمق وتعنى السير فى عرض البحر المفتوح . ويرتبط بها العُرْية أى الماء الضحل . والشِّعب . وجمعها شعاب تعنى الصخور البحرية ويقابلها فى المعنى عرق وعروق . والبلد بمعنى المدينة أو البندر . أما البُلدُ فهو حبل طويل لقياس عمق الماء . والأجر وجمعها الأناجر هى مرساة السفينة أو ما يعرف « بالهلب » ومنها أطرح الأناجر أى أرمها . والكمال آلة لقياس إرتفاع النجوم ومنها الفعل كمَل . والإلزام هو وحدة قياس الطريق البحرى ويساوى ١٢ ميلا بحرياً . والأصبع وجمعها الأصابع وحدة تدريج البوصلة ووحدة قياس إرتفاع النجوم . والمل يعنى الساحل . أما جزيرة المل فهى جاوة . ويمكن للقارىء أن يستفيد بملاحق الكتاب فى فهم ما يصادفه من مصطلحات .

وأخيراً أحب أن أشير إلى أن الدكتورة بنت الشاطىء قد عرضت للتعريف بهذا الكتاب فى مقال لها بجريدة الاهرام (١٨ أكتوبر ١٩٦٣) ، وكان الصدى واسعا وعميقاً واستجاب له كثيرون من مختلف التخصصات كان من بينهم كاتب هذه السطور . وهذا يدل على اهتمام واسع عريض بين جمهور مثقفينا . وأملنا أن تكون هذه الترجمة العربية باعثاً جديداً لهذا الإهتمام وأن تنزل من نفوسهم منزل الرضى والتقدير والله ولى التوفيق .

مصر الجديدة فى ١٨ أغسطس ١٩٦٩

محمد منير مرسى
كلية التربية — جامعة عين شمس